

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة



كلية الآداب و اللغات قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في النحو الوظيفي

إعداد الدكتور

عبد القادر بقادر

السنة الجامعية: 2013م – 2014م

المقدمة

تحاول هذه السلسلة من المحاضرات التي ألقي البعض منها في مقياس "النحو الوظيفي" الموجهة لطلبة الجامعة، أن تلقي الضوء على "نظرية النحو الوظيفي" التي أرسى قواعدها في العالَم العالِم اللغوي سيمون ديك الهولندي، ونقلها إلى العالم العربي الدكتور أحمد المتوكل وطوعها للنحو العربي؛ حيث حاول من خلالها أن يرسم معالم واضحة لنظرية وظيفية جديدة للنحو العربي، ثم حذا حذوه العديد من الباحثين في المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر، وإن كانت هذه النظرية قد قطعت أشواطا كبيرة في المملكة المغربية وبدرجة أقل تونس حتى دخلت المناهج المدرسية، فإنها في الجزائر مازالت لم تلق العناية الكافية، وهناك الكثير الذي لم يسمع عنها إلا قليلا حتى في الجامعات.

لقد اختلط مفهوم النحو الوظيفي بالنحو التعليمي حتى صارا وجهان لعملة واحدة، وكلما أردت الحديث عن نظرية النحو الوظيفي ذهبت الأذهان إلى النحو التعليمي، ولا أصدق من ذلك تلك الكتب التي عنونها أصحابها بـ: "النحو الوظيفي"، وهي في حقيقتها نحو تعليمي ليس إلا، لا تمت إلى النحو الوظيفي ونظريته بصلة على الإطلاق.

وظل النظر إلى النحو الوظيفي في الجزائر عامة ضيقا لا يتعدى النظرية النحوية العربية القديمة إلا في بعض الجامعات القليلة، التي تكاد تعد على أصابع اليد الواحدة، فكثيرا ما تحدثنا إلى أساتذة أسائلهم عن نظرتهم إلى النحو الوظيفي، فيحدثوننا عن النحو التعليمي، وإذا ما سألت الطلبة عن النحو الوظيفي فإنك لن تجني إلا صمتا مطبقا تدرك من خلاله جهلهم التام بنظرية النحو الوظيفي وما توصلت إليه من جديد، من هنا تحملت مسؤولية إعطاء محاضرات المقياس في هذه

النظرية انطلاقا من مبدأ "لا تستحِ من إعطاء القليل فإن الحرمان منه أقل"، أو "ما لا يدرك كله لا يترك جله" مع إدراكي العميق لصعوبة المهمة من جهة وقلة المصادر من جهة أخرى.

إن نظرية النحو الوظيفي التي يتزعمها العالم اللغوي سيمون ديك الهولندي، والتي طوعها للنحو العربي أحمد المتوكل تعرف النحو الوظيفي بأنه: "هو النحو الذي لا يقتصر على الدور الذي تلعبه الكلمات أو العبارات في الجملة، أي الوظائف (التركيبية أو النحوية) كالفاعل والمفعول..؛ لأن هذه الوظائف لا تمثل إلا جزءا من كل، تتفاعل مع وظائف أخرى، (مقامية أو تبليغية) هي الوظائف الدلالية والتداولية، بحيث تترابط الخصائص البنيوية للعبارات اللغوية، بالأغراض التبليغية التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها".

ومن ثم فإن هذه النظرية الجديدة، تجاوزت الخطاب اللساني المحلي التقليدي، الذي يربط النحو بمستوى لغوي جزئي من مستويات اللغة، إلى خطاب لساني انتقل فيه مركز الاهتمام من اللغة إلى النحو كنظرية شاملة مهمتها وصف وتفسير ما أصبح يعرف في هذه النظرية بالملكة التبليغية بمكوناتها المختلفة (دلالية، وتداولية، وصرفية، وتركيبية..)، وبذلك فهي توحِّد بين لسانيات الجملة ولسانيات الخطاب.

لقد أسهم أحمد المتوكل في حركة التعريف باللسانيات المعاصرة حيث قدم للقارئ العربي نموذجا لسانيا حديث النشأة ألا وهو نموذج "النحو الوظيفي" كما بين ذلك في كثير من كتاباته وأبحاثه أنه بإمكان توظيف هذا النموذج في وصف وتفسير ظواهر اللغة العربية.

إن الدكتور أحمد المتوكل الذي طرح نظرية النحو الوظيفي كبديل عن النظرية النحوية القديمة لا يقصد إقصاءها بقدر ما استفاد منها وحاول تطويرها

والاستفادة مما توصلت إلى اللسانيات المعاصرة في ضوء الدراسات اللغوية بقصد ترقية اللغة العربية، كما أشار هو بنفسه في كتاباته إما تصريحا وإما إيماء وتلميحا؛ بأنه يوظف مفاهيم المنهج الوظيفي ـ نظرية النحو الوظيفي ـ فيما توصل إليه النحاة العرب لينتهي إلى مقاربة وظيفية للنحو العربي ومسائله المختلفة.

وتأتي هذه السلسلة من "محاضرات في النحو الوظيفي" لتقريب والتعريف بمفاهيم نظرية النحو الوظيفي من خلال مقاربة الدكتور أحمد المتوكل لأذهان الطلبة والباحثين المبتدئين في هذا المضمار، ولا أدعي بهذا معرفتي الكاملة بتلك المفاهيم (مفاهيم نظرية النحو الوظيفي) التي طالما توقفتُ عندها طويلا دارسا وباحثا ومستقصيا مصادرها وكل ما له صلة بالنظرية، كما أنها تسد ثغرة في هذا المجال، فلطالما اشتكى الطلبة من صعوبة فهم كتابات الدكتور أحمد المتوكل التي كانت بالنسبة لهم كالألغاز التي يصعب حلُّها؛ نظرا لجدتها عليهم.

لقد حاولت أن أبدأ بمدخل بينت فيه أهم المراحل التي مرت بها اللسانيات الحديثة والمعاصرة، ثم تطرقت إلى النظريات النحوية الوظيفية التي عرفتها اللسانيات قبل نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك وأحمد المتوكل، كل هذا كان ممهدا للدخول إلى نظرية النحو الوظيفي ومفاهيمها ومصطلحاتها، مراعيا في ذلك تبسيط المفاهيم وتقريبها من الأذهان.

إن الباحث في هذه النظرية وأمثالها من النظريات الحديثة والمعاصرة تواجهه صعوبات جدية أثناء بحثه أهمها:

التطور السريع والمريع الذي تعرفه النظريات ولازالت تعرفه إلى اليوم.

قلة المصادر والمراجع التي تناولت نظرية النحو الوظيفي باستثناء كتب المتوكل وبعض الباحثين المغاربة وثلة من الباحثين الجزائريين.

وفي الأخير آمل أن أكون قد قدمت للطلبة والباحثين صورة واضحة عن نظرية النحو الوظيفي، واستطعت أن أقربه إليهم آملا أن تكون هذه السلسة بداية مشروع يتبع ببحوث أكثر نضجا وعمقا.

والله من وراء القصد، ومنه نستمد العون، ونرجو التوفيق والسداد، وحسن التعويض، فهو نعم المولى، ونعم النصير، ونعم المعين، ونعم المعوض، وهو ولي التوفيق.

المحاضرة الأولى

مدخل إلى نظرية النحو الوظيفي:

إن أهم ما يميز اللسانيات الحديثة هو استخدامها المنهج العلمي الصارم في دراسة اللغة؛ حيث أنها تنظر إلى اللغة نظرة وصفية تعتمد على الملاحظة المباشرة للظاهرة اللغوية الموجودة بالفعل، "ولا تهدف إلى وضع قواعد تفرضها على المتكلمين باللغة"[1]

إن اللسانيات الحديثة خلال القرن العشرين مرت بثلاث مراحل كبرى، كان لها الأثر الكبير على المسار العام للسانيات اللغوية خصوصا وتمثلت هذه المراحل في:

مرحلة البنيوية تزعمها فيردينان دي سوسير.

مرحلة التوليدية التحويلية تزعمها نوام تشومسكي.

مرحلة التبليغية تزعامها هيمس.

مرحلة البنيوية:

في أوائل القرن العشرين تركزت الدراسات اللغوية في أوروبا على مباحث اللسانيات لإبراز مجموعة من القواعد اللغوية العامة مستنبطة من تحليلات علمية استهدفت مكونات اللغة[2]، فركزت أبحاثها على تقطيع دوال العلامات اللغوية (الكلمات أو الجمل)، وتفتيتها إلى عناصرها الأساسية، باحثة عن العلاقات المُنَظِّمة لها والقوانين الداخلية المتحكمة فيها، وبالتالي ابتعدت عما له علاقة بالمدلولات، وكل

[1] ـ محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د ط، 2006م، ص: 7.

[2] ـ تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد اباه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 2، 1429هـ ـ 2008م، ص: 546 ـ 549.

ما له علاقة بالمرجع؛ لأن العناصر والعلاقات التي ترجع إليها تستعصي على الضبط والتقنين[1].

وقد تأثر بهذا المنهج السوسيري لغويون كبار أمثال تروبيسكوي رئيس نادي حلقة براغ، وهلمسليف الدانمركي رئيس نادي كوبنهاقن، ومارتيني زعيم البنيويين الوظيفيين في فرنسا، ومثله في أمريكا كل من بلومفيلد، وهاريس.

والجامع لكل من انضوى تحت راية البنيوية هو هذا التوجه العلمي الصارم الذي أحدث قطيعة تامة مع الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة، وأسس لمنهج علمي لساني يماثل مناهج العلوم الطبيعية.

مرحلة التوليدية التحويلية:

جاءت هذه المرحلة كردة فعل على المرحلة السابقة أي البنيوية التي اكتفت بوصف الظاهرة اللغوية دون أن تقدم لها تفسيرا، وسبب الاختلاف هو اختلاف وجهات النظر إلى طبيعة اللغة، وارتبطت هذه المرحلة بالمنهج التوليدي التحويلي الذي ساد الدراسات اللغوية في نهاية الخمسينيات، وخاصة منذ أواسط الستينيات، فقد تتميز هذه المرحلة بمنهجها العقلي الذي وجه الدراسة اللغوية وجهة جديدة بقيادة نوام تشومسكي.

إن منهج تشومسكي الجديد يصف ويفسر ويعلل ما ظل معروفا بالقدرة اللغوية للمتكلم/السامع، وهي قدرة لا تمكنه من إنتاج مدونة لغوية محدودة فحسب، بل تمكنه من إنتاج وفهم ما لا نهاية من الجمل الصحيحة[2]، على اعتبار أن النحو

---

[1] ـ ينظر: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، يحيى بعيطيش، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، 2006م، ص: 32.

[2] ـ ينظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص: 549 ـ 550، ونحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 33.

التوليدي يسعى إلى وصف سليقة المتكلم السامع المثالي اللغوية أي مقدرته الضمنية على إنتاج وفهم عدد غير محدود من الجمل، وعليه يكون النحو التوليدي نظاما من القواعد التي تتكرر باطراد لتوليد عدد هائل وغير متناه من البنيات(1)، وتقوم هذه القواعد على ثلاثة أجزاء تمثل المكونات الأساسية للنحو التوليدي:

المكون التركيبي.

المكون الفنولوجي.

المكون الدلالي(2).

وبهذا المنهج الجديد رسم تشومسكي اتجاها جديدا للدراسة اللغوية، سار فيه أتباعه أمثال: كاتز، وفدور، ولايكوف، ومكاولي، وبوستال ، وفيلمور، و كونو، وصادوك،... وغيرهم ممن أنتجوا نماذج نحوية في إطار المنهج التوليدي التحويلي بصفة عامة والدلالة التوليدية بصفة خاصة.

إن هؤلاء وغيرهم ممن طور نظرية تشومسكي أدخلوا عنصر الدلالة كمكون أولي أي ضمن البنية العميقة، وبذلك فتحوا الباب على مصراعيه للدلالة، ليس

---

[1] ـ ينظر: دروس في التركيب، محمد الشكيري، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط: 1، 1426هـ ـ 2005م، ص: 14.

[2] ـ لمزيد من التوضيح حول هذه المكونات ينظر: دروس في التركيب، ص: 14 ـ 16، والألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكرياء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 1، 1982م، والجملة البسيطة، ميشال زكرياء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 1983م، وفي نحو اللغة العربية وتراكيبها: منهج وتطبيق، عمايرة خليل أحمد، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدّة، د ط، 1984م، ونحو نظريّة لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، مازن الوعر، دار طلاس، دمشق، د ط، 1987م، وقضايا أساسية في علم اللسان الحديث، مازن الوعر، دار طلاس، دمشق، ط: 1، 1988م، واللسانيات و اللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1985م، والمعجم العربي، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986م، والبناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة و بناء الجملة، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 1990م.

بتكثيف البحوث في مجال الدلالة فحسب، بل بتناولهم مدلول العلامة اللغوية أو ما أسموه بالبنية الدلالية (كلمة كانت أم جملة..)؛ حيث شرحوها وحللوها إلى عناصر سيمية لا تقبل التجزئة، مكتشفين وظائفها وعلاقاتها المنظمة لها، في محاولة علمية جادة لتقنينها تقنينا رياضيا دقيقا، بعد أن كانت مستعصية على التقنين في المرحلة السابقة.

مرحلة التداولية التبليغية:

وهي المرحلة اللسانية الثالثة التي دشنها عالم الأجناس الأميركي دال هيمس بشنه هجوما عنيفا على التصور التجريدي الذي انحصر فيه البحث اللساني، سواء مع رائد اللسانيات الحديثة دي سوسير الذي حصر موضوع تنظيره في اللغة دون الكلام، أو صاحب النظرية التوليدية التحويلية تشومسكي الذي قصر موضوع تنظيره على القدرة اللغوية دون الكلام أو التأدية، مما جعل اللسانيات تتحول إلى علم صوري مجرد مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة يؤمن بكيانية العبارة اللغوية في مستواها البنيوي الصوري المجرد، مقصيا أحوال التخاطب والمقامات المختلفة التي ينجز فيها[1].

فقد نهج هيمس وعلماء الاجتماع من بعده اتجاها جديدا للدراسات اللغوية، يقوم على ما أصبح معروفا اليوم بالقدرة التبليغية عوض القدرة اللغوية لتشومسكي التي أضحت أحد مكونات القدرة التبليغية للمتكلم/السامع[2].

فالنظرية اللغوية عند هؤلاء لا تنحصر فقط في وصف اللغة ككيان مستقل بذاته، بعيدا عن المواقف الاجتماعية والحياتية التي تستخدم فيها وذلك لأنها ليست

---

[1] ـ التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط: 1، 1429هـ ـ 2008م، ص: 18.

[2] ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، 1995م، ص: 22 ـ 32.

أنماطا وصيغا وتراكيب مقصودة لذاتها، وإنما هي موجودة للتعبير عن الوظائف المختلفة: كالطلب والترجي والأمر والنهي و الدعاء،... وغير ذلك من آلاف الوظائف اللغوية، فالدراسة في هذه المرحلة تقوم على مفاهيم جديدة وهي الفعل الكلامي، والقصدية، والاستلزام التخاطبي[1].

وبهذا الانتقاد المشهور لهيمس أعيد الاعتبار للنظريات السياقية، حيث دخلت مجال اللسانيات بقوة كنظريات؛

- أفعال اللغة.
- نظريات التداول والملفوظية.
- النظريات الوظيفية، وخاصة نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك.

وما يجمع هذه النظريات والدراسات هو تركيزها على مرجع العلامة اللغوية، أو المكون التداولي للكلمة أو الجملة أو النص، الذي أصبح مضبوطا بوظائف تداولية محددة، ترتبط بسياقات، وطبقات مقامية، وبشبكة من العلائق المختلفة، كالعلائق الاجتماعية المنظمة لمقاصد المتخاطبين، والعلاقات المنطقية التي تضبط محاوراتهم.

والخلاصة هي أن هذه الدراسات سعت، وما تزال، لوضع مبادئ عامة تضبط وتقنن بها كل ماله علاقة بالسياق، وقد نجحت فعلا في غزو النماذج التوليدية الأخيرة؛ حيث أدرج المكون التداولي في الجهاز الواصف لأنحائها.

إن المراحل التي مرت بها اللسانيات عبر التاريخ المعاصر والتي تولدت عنها مدارس لسانية حاولت دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية دراسة علمية، لم تتعد أن تكون

---

[11] ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب، ص: 41.

واصفة للغات الطبيعية (المستعملة)، معاينة الوقائع بعيدة عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية.

المحاضرة الثانية

النظريات النحوية الوظيفية

إن النحو الوظيفي شيء، و النحو غير الوظيفي (الصوري) شيء آخر، والفصل بينهما أساسي؛ لأن الخلط بينهما يؤدي إلى قياس تعميمي خاطئ، يجعل كل الأنحاء دون استثناء وظيفية.

ولعل هذا القياس الخاطئ هو الذي قاد بعض الباحثين إلى اعتبار كل النحو العربي القديم نحوا وظيفيا[1] و قاد بعضهم الآخر إلى إطلاق تسمية "النحو الوظيفي" على مؤلفاتهم وأبحاثهم النحوية، و هي في حقيقتها أنحاء صورية (تعليمية)، لا تحمل من الوظيفية سوى الاسم، نذكر من هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر:

- النحو الوظيفي، لعبد العليم إبراهيم.
- قواعد النحو الوظيفي، لنايف معروف.

ونتج عن هذا الخلط إعطاء مفاهيم خاطئة للنحو الوظيفي نمثل لها ببعض التعاريف منها:

"بأنه إكساب التلاميذ مهارات القواعد التي تساعدهم على إتقان المهارات الأربعة الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة وأن نتخير من النحو ما له صلة وثيقة بالأساليب ودلالتها على المعاني وما كان سهل الادراك والفهم بالنسبة للضبط والربط بالأساليب الجارية في كتابات الناس وقراءاتهم" (مجاور، 1969م، ص: 368 . 403).

[1] – ينظر: النحو الوظيفي، (السنة الثالثة) صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1974م، ص: 07.

"بأنه الذي جرد من فلسفة العامل والتخريجات التي لا جدوى منها، والتمس منه ما يعين على صحة الكلام والكتابة وسلامة الضبط" (الجمبلاطي ورفيقه، 1975م، ص: 259).

أنه "مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو هو ضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان من اللحن أثناء النطق، وليسلم القلم من الخطأ عند الكتابة" (إبراهيم، 1978م).

"أن نتخير من النحو الموضوعات الوثيقة الصلة بالأساليب التي تواجه التلميذ أو التي يستخدمها في الحياة العامة مما يساعده على صحة ضبط الجمل والعبارات وتأليفها تأليفا خاليا من الأخطاء" (كخن، 1989م، ص: 58).

فكل التعاريف السابقة الذكر لا تمت إلى النحو الوظيفي بصلة وإنما هي نحو تعليمي أو نحو صوري لا غير، فالنحو الوظيفي يجب أن يتوفر فيه مبدآن أساسيان هما:

- اعتبار الوظيفة التبليغية (التواصلية) هي الوظيفة الأساسية للغة، و أنها تعكس إلى حد بعيد، الخصائص البنيوية للتراكيب اللغوية (صوتية، وصرفية، وتركيبية..)، في الجملة أو النص.
- لا يعد النموذج النحوي نموذجا وظيفيا، إلا إذا أفرد فيه مستوى خاصا للوظائف التداولية، باعتبارها خصائص تسهم في تحديد البنية التركيبية الصرفية للجملة أو النص[1].

[1] ـ نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 35.

فالمبدآن يقومان على المبدإ الوظيفي العام، الذي ينطلق من اعتبار اللغة نظاما وظيفيا، يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل، ودراستها ينبغي أن تراعي ذلك؛ أي أن كل ما يضطلع بدور، في التبليغ أو التواصل ينتمي إلى اللغة، وكل ما ليس له هذا الدور فهو خارج عنها[1]، وهذا ما يضطلع النحو الوظيفي بدراسته.

وبناء على الأساسين السابقين يكون لدينا نحوان؛ نحو وظيفي، ونحو غير وظيفي ويكون تعريف كل واحد منهما على النحو التالي:

النحو الوظيفي : هو النحو الذي لا يقتصر على الدور الذي تلعبه الكلمات أو العبارات في الجملة، أي الوظائف التركيبية (أو النحوية: كالفاعل و المفعول..)؛ لأن هذه الوظائف لا تمثل إلا جزءا من كل، تتفاعل مع وظائف أخرى، مقامية (أو تبليغية: هي الوظائف الدلالية، والوظائف التداولية)، بحيث تترابط الخصائص البنيوية للعبارات اللغوية، بالأغراض التبليغية (التواصلية) التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها[2]

النحو غير الوظيفي (الصوري التعليمي): يُكتفى في هذا النحو بتحديد أدوار أو وظائف بنية الجملة (الوظائف النحوية: كالفاعل و المفعول...)، كما هو الشأن مع النحو القديم الذي لا يُمثل فيه للوظائف الدلالية أو التداولية[3].

وعلى ما سبق سيكون عرضنا مقتصرا على النظريات النحوية الوظيفية التي يتوفر فيها المبدآن، لقد انطلق التيار الوظيفي مع حلقة براغ في الثلاثينيات من القرن العشرين، و بدأ يشق طريقه مخترقا كل المراحل السالفة الذكر.

---

[1] ـ أهم المدارس اللسانية، عبد القادر المهيري وآخرون، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط: 2، 1990م، ص: 40.

[2] ـ من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، د ط، 1987م، ص: 05.

[3] ـ نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 36.

المحاضرة الثالثة

(تابع) النظريات النحوية الوظيفية

المدرسة الوظيفية (حلقة براغ): قامت هذه المدرسة على المبادئ التي أرسى قواعدها سوسير، واعتنى أصحاب هذه المدرسة بالاتجاه الوظيفي الذي يهتم بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال وتبليغ يستخدمها الأفراد للتواصل فيما بينهم، أو في تحقيق التماسك والانسجام في المجتمع ككل، أو وظيفتها في تحقيق المتعة الفنية والجمال في الأدب، وبكلمة مختصرة فإن منهج الدراسة الوظيفية لمدرسة براغ، يقوم على أن اللساني يعتبر اللغة محركا أو آلة، عليه أن يبحث عن وظائفها التي تؤديها مختلفُ أجزائها أو مكوناتها العاملة، وكيف تؤثر طبيعة كل جزء على طبيعة وعمل الأجزاء الأخرى[1].

نظرية الوجهة الوظيفية للجملة: اهتمت هذه النظرية بالجملة ونظرت إليها من منظور نفسي مهتمة بمفهوم "الفاعل النفسي" وكان يتزعم هذه النظرية "ويل" اللغوي الألماني، ثم طور أفكاره مجموعة من الباحثين على رأسهم ماتزيوس وبلور أفكار "ويل" في نظرية "الوجهة الوظيفية للجملة" كأحد المفاهيم المتحكمة في ترتيب مكونات الجملة[2]، الذي اقترح تقسيما جديدا للجملة، يعتمد على معيار ربط الجملة بالسياق أو الموقف الكلامي، عوض التقسيم البنيوي الشكلي العام للجملة؛ فتعتمد نظرية الوجهة الوظيفية للجملة على ترتيب الكلمات؛ فيكون الترتيب العادي للكلمات في الجملة الخبرية، منطلقا من ذكر الموضوع أولا، ثم ذكر المحمول بعده (المحور)، ويسمى هذا الترتيب التسلسلي للكلمات ترتيبا موضوعيا، فهو المنظور أو الوجهة الوظيفية الموضوعية للجملة، إلا أنه قد تبرز ضرورة ذاتية انفعالية للمتكلم، تجعله

---

[1] ـ ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 97 وما بعدها، ونحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 37 وما بعدها.

[2] ـ ينظر: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 43.

يعكس الترتيب فيبدأ بالمحمول، ثم يضيف بعده الموضوع، ويسمى هذا القلب بالترتيب الذاتي، وهو المنظور أو الوجهة الوظيفية الذاتية، وهو ترتيب طبيعي في الجمل الاستفهامية و التعجبية[1].

وعليه تحلل الجملة في "نظرية الوجهة الوظيفية للجملة" وفق ثلاثة مستويات هي: المستوى الدلالي، والمستوى النحوي، والمستوى الوظيفي[2].

مدرسة لندن (نظرية النحو النسقي): اهتم علماء اللغة البريطانيين بالدراسة العلمية للأصوات اللغوية، يحدوهم دافع الحاجة الماسة إلى دراسة اللغات الشرقية والإفريقية المختلفة، التي أصبحت شعوبها تحت سيطرة الأمبراطورية البريطانية من جهة، وتسهيل تعليم ونشر اللغة الانجليزية في بلدان تلك الشعوب من جهة أخرى، ولتحقيق ذلك أنشئ في البداية أول قسم جامعي للصوتيات في جامعة لندن، وتوالت بعده إنشاء المدارس والمعاهد، لم يشهد الدرس اللساني في انجلترا التطور النوعي والمنهجي إلا على يد جون فيرث الذي طور نظرية سياق الحال، التي كان لها تأثير كبير على نظرية النحو النسقي، ويمكن حصر أفكار فيرث في مجالين كبيرين هما: مجال الأصوات، ومجال الدلالة[3].

فقد ربط فيرث بين الدراسة الصوتية والوظيفة، واعتبار اللغة عبارة عن أحداث وأفعال كلامية واقعية وبالتالي فدراستها لا تكون بمعزل عن تلك الظروف والملابسات (السياق) التي أنتجت فيها.

---

[1] ـ ينظر: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 44، نقلا عن: الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، جعفر دك الباب مطبعة الجليل، دمشق، ط: 1، 1980م، ص: 117 ـ 119.

[2] ـ ينظر: اللسانيات الوظيفية، ص: 107 وما بعدها، ونحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 45 ـ 47.

[3] ـ ينظر: المرجعين السابقين، ص: 134 وما بعدها، وص: 40 وما بعدها.

ولم يتوقف نشاط مدرسة لندن عند حد الدراسة الصوتية والوظيفية بل تعداهما إلـى الدراسـة التركيبيـة ومـا يعرف بـالنحو النسـقي الـذي يقـوم علـى قواعـد نظاميـة (مفاهيم) ثلاثة هي: مفهوم الوظيفة، مفهوم النسق، ومفهوم البنية[1] حسب هاليداي.

نظريـــة البركمانتـــاكس: "تتـدرج نظـرية البراكمانتـاكس، فـي إطـار النمـوذج التوليدي التحويلي المعروف باسم "الدلالة التوليدية" التي يقوم جهاز نحوها الواصف، على مبدأين أساسيين: عدم استقلال التركيب عن الدلالة، واعتبار البنية الدلالية بنية أصلية للاشتقاق، بحيث يُمثل للخصائص المنطقية الدلالية والتركيبية في بنية تحتية واحدة، هي على التوالي:

بنية منطقية دلالية: تتكون من محمول (فعلي أو اسمي أو وصفي..)، يربط بـين عـدد معـين مـن الموضـوعات (موضـوع أول، موضـوع ثـان..)، حيـث تُعد المحمولات وحدات معجمية مركبة، تجمع بين دلالة مدمِجة، ودلالة مدمَجة.

بنيـة سطحية: تتم بعد تطبيق القواعد التحويليـة المناسبة سواء قبل الإدماج المعجمي أو بعده كقاعدة (تكوين الفاعل)

تأويل صـوتي: الـذي يتم بعد نقل البنيـة التحتيـة أو العميقة إلـى بنية سطحية التي تؤول صوتيا[2].

نظريـــة التركيبيـــات الوظيفيـــة: يعـرف كونـو صـاحب هـذه النظريـة اللسـانيات الوظيفية بأنها "مقاربة لتحليل البنية اللغوية، تعطي الأهمية للوظيفة التبليغية لعناصر هذه البنيـة، بالإضـافة إلـى علاقاتها البنيويـة"[3]، ثم يحدد "التركيبيات الوظيفيـة" داخل إطارهـا، بأنهـا "أحـد حقول اللسـانيات الوظيفيـة، حيـث تحلـل البنيـات التركيبيـة علـى أسـاس وظائفهـا "التبليغيـة" و لا يـربط كونـو "التركيبيـات الوظيفيـة" بنحـو معـين مـن

---

[1] ـ ينظر تلك المفاهيم في: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 48 ـ 51، واللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط: 02، 2010م، ص: 111.

[2] ـ اللسانيات الوظيفية، ص: 95 وما بعدها.

[3] ـ اللسانيات الوظيفية، ص: 104.

أنحاء نماذج النظرية التوليدية التحويلية؛ إذ يمكن أن تنطبق على كل نماذجه، (كنموذج نحو النظرية المعيار، أو المعيار الموسعة، أو النحو العلاقي، أو نحو الأحوال...)، لذا يجب في رأيه أن يخصص أو يفرد مستوى أو مستويات، للقيود الوظيفية الضابطة لسلامة الجملة أو السلاسل الجملية، بإضافة مكون خطابي مثلا إلى جانب المكون التركيبي، ترصد فيه القيود المرتبطة بوظيفة التواصل، كالمفاهيم التداولية الآتية:

- المعلومة القديمة
- المعلومة الجديدة
- المحور
- البؤرة(1)

نظرية التركيب الوظيفي: هي نظرية نحوية وظيفية، اقترحها في نهاية السبعينيات كل من فان فالين، وفولي، ويطلقان عليها أحيانا "نحو الأدوار والإحالة".

تنتج الجملة في هذه النظرية حسب بنيات ثلاث: بنية دلالية (أو أدوار دلالية)، وبنية تداولية (أو إحالية)، وبنية صرفية (أو تركيبية)، و تضطلع برصد هذه البنيات الثلاثة ثلاثة أنساق من القواعد، هي: القواعد الدلالية، والقواعد التداولية، والقواعد الصرفية التركيبية.

ويتم ذلك انطلاقا من المبدأ المنهجي الوظيفي العام، القاضي بأن الخصائص التركيبية الشكلية أو الصورية للعبارات اللغوية، هي منتوج التفاعل القائم بين أنساق القواعد الثلاثة السالفة الذكر؛ أي أن البنية اللغوية (عبارة، أو جملة، أو نصا) هي انعكاس للوظيفة التبليغية أو(التواصلية)، و هذا بخلاف نماذج الأنحاء التوليدية،

---

1 ـ ينظر: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 55 ـ 57.

التي تجعل المكون التركيبي مستقلا عن المكونين الآخرين (الدلالي، والتداولي) لإنتاج البنية الصرفية التركيبية[1].

وفي الأخير يمكننا أن نقف على أن النظريات النحوية الوظيفية السابقة الذكر يمكن أن تصنف صنفين[2]:

صنف مؤسس بدءا تأسيسا وظيفيا، ويشمل: نظرية الوجهة الوظيفية، ونظرية النحو النسقي، ونظرية التركيب الوظيفي، ونظرية النحو الوظيفي.

وصنف مؤسس داخل إطار نماذج نظرية النحو التوليدي التحويلي، ويضم نظريتي البراكمانتاكس، ونظرية التركيبيات الوظيفية.

---

[1] ـ ينظر: اللسانيات الوظيفية، ص: 115 ـ 125، ونحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 57 ـ 62.

[2] ـ هناك تصنيفات أخرى يمكن الاطلاع عليها في: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 62 ـ 66.

المحاضرة الرابعة:

نظرية النحو الوظيفي

الإطار التاريخي لنظرية النحو الوظيفي:

نشأت نظرية النحو الوظيفي مع مجموعة من الباحثين بجامعة امستردام يرأسهم الباحث اللساني سيمون ديك الهولندي، حيث قدّم الصياغة الأولية العامة للنحو الوظيفي سنة 1978م، وأرسى أسس النحو الذي يقترحه، وقدّم الخطاطة العامة لتنظيم مكوناته، ولهذه النظرية نماذج كثيرة متعاقبة، وهي نظرية تستجيب لشروط التنظير والنمذجة، وانتقلت هذه النظرية من مسقط رأسها بهولندا إلى أقطار أخرى كبلجيكا، وإسبانيا، وانجلترا...

ودخلت العالم العربي عبر بوابة المملكة المغربية بجامعة محمد الخامس بالرباط، على يد الباحث أحمد المتوكل، لتنتقل إلى غيرها من الجامعات المغربية لترسم طريقا لها إلى بقية البلاد العربية كالجزائر، وتونس، وسوريا، والعراق...[1]

موضوع نظرية النحو الوظيفي:

لم تقف النظرية عند وصف القدرة التواصلية، وإنما وسّتعها بالأخذ في عين الاعتبار طاقات ومعارف أخرى، إضافة إلى الطاقة والمعرفة اللغوية (النحوية)[2]، وذلك من خلال نموذج مستعمِل اللغة الطبيعية؛ ومستعملو اللغة الطبيعية لا يتواصلون فيما بينهم إلا بخطابات، ولهم قدرة تواصلية متكاملة أي مجموعة من الملكات؛ وهي الملكات المعرفية، واللغوية، والإدراكية، والمنطقية، والاجتماعية... ولا تصل النظرية حدّ التكامل والكفاءة الشاملة إلا إذا رُصدت هذه الملكات كلَّها، ولم تقف عند حدود الملكة اللغوية وحدَها.

---

[1] ـ ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، ط: 01، 1427هـ 2006م، ص: 59 – 63.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص: 45.

فالملكة اللغوية هي التي تمكّن مستعمل اللغة من إنتاج عدد لا متناه من الجمل في مقامات تواصلية متعددة لمعرفته بلغته معجما وصوتا وصرفا وتركيبا، وهي دائمة الحضور في عملية التواصل اللغوي، أما غيرها من الملكات فيلجأ إليها عند الحاجة.

كالملكة الاجتماعية فهي التي تمكّن مستعمل اللغة من ضبط وضع مخاطبه الاجتماعي، وما يقوم بينهما من علاقات أثناء التواصل.

أما الملكة المنطقية فهي التي تمكّن مستعمل اللغة من اشتقاق معارف إضافية من معارف متوفرة لديه بواسطة قواعد الاستدلال.

أما الملكة الإدراكية فهي التي تمكّن مستعمل اللغة من استخدام المعارف التي يستقيها من مواقف التواصل ذاته في إنتاج العبارات والجمل اللغوية، وفي فهمها.

أما الملكة المعرفية فهي التي تمكّن مستعمل اللغة من تكوين مخزون منظم من المعارف اللغوية وغير اللغوية، واستخدامها في إنتاج وتفسير وفهم المزيد من العبارات والجمل اللغوية.[1]

الأسس المنهجية لنظرية النحو الوظيفي:

حاولت نظرية النحو الوظيفي تجميع مبادئ النظريات الوظيفية والتي تتعلق بوظيفة اللسان الطبيعي، وعلاقة الوظيفة بالبنية، ومفهوم القدرة اللغوية، ومفهوم الكليات اللغوية، وعلاقة الوظيفة بموضوع الوصف اللغوي، وعلاقة الوظيفة بالمفاضلة بين الأنحاء[2] وربطها بمفهوم الكفاءة التفسيرية؛ وهذه الأخيرة تجمع ثلاث كفاءات مترابطة ومتكاملة هي: الكفاءة التداولية، والكفاءة النفسية، والكفاءة النمطية.

الكفاءة التداولية:

---

[1] ـ ينظر تلك الملكات في: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، سلسلة بحوث ودراسات رقم 5، المملكة المغربية، ط: 01، 1993م، ص: 8 ـ 9، والخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط: 01، 1431هـ ـ2010م، ص: 13 ـ 15.

[2] ـ ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، ص:

يقول سيمون ديك معرّفا هذه الكفاءة: "على النحو الوظيفي أن يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات، وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي؛ يعني هذا أنه يجب ألاّ نتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنها موضوعات منعزلة، بل على أساس أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معيّن في إطار سياق تحدده العبارات السابقة، وموقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب"[1]

يؤخذ من التعريف أن خصائص العبارات اللغوية تتحكم فيها عوامل أخرى من الخارج؛ وهي مبادئ تحكم التواصل اللغوي، وبالتالي فإن العملية التواصلية لا تقتضي معرفة لغوية فحسب بل تقتضي معارف أخرى عامة وآنية تخص الموقف الذي تتم فيه عملية التواصل، ومن هنا فإن إنتاج اللغة وفهمها يتمان في إطار تداولي (حوار، سرد...).

الكفاءة النفسية:

يعرّفها سيمون ديك بقوله: "تنقسم النماذج النفسية بطبيعة الحال إلى نماذج إنتاج، ونماذج فهم؛ تُحدد نماذج الإنتاج: كيف يبنى المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، في حين تُحدد نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها، وعلى النحو الوظيفي الذي يروم الوصول إلى الكفاءة النفسية أن يعكس بطريقة أو بأخرى ثنائية الإنتاج/الفهم هذه"[2]

يشير ديك في هذا التعريف إلى العملية النفسية التي يقوم بها الذهن في إنتاج الخطاب أو فهمه أثناء القيام بالعملية التواصلية، وعليه فإن نماذج النحو الوظيفي

1 ـ المنحى الوظيفي...، ص: 64.

2 ـ المنحى الوظيفي...، ص: 66.

صيغت على أساس أن إنتاج الخطاب ينطلق من القصد إلى النطق مرورا بالصياغة.

الكفاءة النمطية:

يعرّف ديك هذه الكفاية بقوله: "يزعم المنظرون للسان الطبيعي أن بإمكانهم حصر الاهتمام في لغة واحدة، أو في عدد من اللغات فيما يقارب التنميطيون اللغة مقاربة محايدة نظريا تعتمد منهجا استقرائيا شبه تام.

إن الدراسة التنميطية لا تكون ذات نفع إلا إذا أطرتها مجموعة من الفرضيات النظرية ولا تكون النظرية اللسانية في المقابل ذات جدوى، إلا إذا كشفت عن مبادئ وقواعد ذات انطباقية واسعة النطاق"[1]

من خلال التعريف يتضح أن ديك ينتقد التنميطيين السابقين في اتجاهيهما ويرى بأن تنميط اللغات يجب أن يندرج في إطار نظري ينطبق على أكبر قدر ممكن من اللغات المتواجدة والممكنة، ومن هنا فإن النحو الوظيفي لتحقيق هذه الكفاءة وضع ضابطين هما:

- ربط تنميط اللغات بالكليات اللغوية.
- السعي في إحراز أكبر قدر ممكن من التجريد في صوغ المبادئ والقواعد.

مبادئ نظرية النحو الوظيفي:

يعتمد نموذج النحو الوظيفي على مبادئ منهجية عامة وثابتة لا يحيد عنها، تتمثل في:

وظيفة اللغات الطبيعية:

[1] ـ المنحى الوظيفي...، ص: 68.

للغة وظيفة أساسية تتمثل في التواصل بين المتعاملين بها، وظل هذا المبدأ شعارا يرفعه أعلام المدرسة الوظيفية في الألسنية الحديثة، إلى أن جاء سيمون ديك الذي عدّ كل لغة طبيعيةً هي نظام يحتوي على خصائص بنيوية، هدفها الأساسي تحقيق عملية التواصل بين المتكلمين بها.

وصف القدرة التواصلية:

واعتمادا على ذلك فكل لساني يريد الدراسة عليه أن يصف القدرة التواصلية بين طرفي العملية التواصلية (المتكلم والمخاطب)، وهذا المبدأ أعاد به سيمون ديك ثنائية تشومسكي (القدرة/الإنجاز).

النظر إلى التركيب والدلالة من وجهة تداولية:

التداولية علم ظهر مؤخرا في حقل الدراسات اللسانية، ومن خلاله يطمح النحو الوظيفي إلى تحقيق الكفاءة في الاستعمال التداولي، وبالتالي تحقيق الكفاءة التداولية.

السعي إلى تحقيق الكفاءات:

حيث يسعى النحو الوظيفي إلى تحقيق الكفاءات؛ النفسية والتداولية والنمطية.

المحاضرة الخامسة:

البنية في النحو الوظيفي (إنشاء الجملة)

تمر البنية في النحو الوظيفي بثلاث مراحل يضطلع في كل مرحلة منها ببناء بنية تمثّل لزمرة من الخصائص والمحطات الاشتقاقية، مرتبة على النحو الآتي: البنية الحملية، والبنية الوظيفية، والبنية المكوّنية.

أولا: البنية الحملية:

وفيها تتمثل الخصائص الدلالية بتطبيق القواعد الأساس الذي يسميه أحمد المتوكل "الخزينة"، والمتكوّن من عنصرين: معجم، وقواعد تكوين المحمولات والحدود، والعنصران هما اللذان يتكفلان بصوغ بنية الجملة الحملية وبنائها.

المعجم: وينقسم إلى قسمين من المعارف:

- معرفة مجموعة من المفردات الأصول التي يتعلمها المتكلم السامع تعلما كما هي قبل استعمالها، مثل: ما هو من باب (فعَل، فعِل، فعُل، وفعلل)؛ أي الأفعال المجردة من الثلاثي والرباعي.

- معرفة نسق من قواعد الاشتقاق تمكنه من تكوين مفردات جديدة لم يسبق له أن سمعها أو استعملها انطلاقا من المفردات الأصول المتعلّمة، مثل اشتقاق ما كان من باب (فَاعَلَ، أَفْعَلَ، فَعَّلَ، افْتَعَلَ...) من الفعل الثلاثي وهذا يسمى اشتقاق مباشر، وهناك اشتقاق غير مباشر مثل ما كان من باب (تَفَاعَلَ، تَفَعَّلَ...)؛ لأنها مشتقة من غير الأصول.

وعلى هذا يرى المتوكل بأن هذا المعجم هو الذي يتولى تزويد المتكلم بالأطر الحملية، والحدود الأصول[1]، وبالتالي فالأطر الحملية نوعان؛ أطر حملية أصلية، وأطر حملية مشتقة.[2]

قواعد تكوين المحمولات والحدود: يقصد بها الطريقة التي يتم بها الاشتقاق، ويجب أن تتوفر فيها خاصيتان هما:

- الربط بين مفردات متواردة تزامنيا؛ أي في المرحلة نفسها من مراحل تطور اللغة.
- أن تكون المفردات الناتجة عنها مجموعة غير محصورة العناصر؛ أي أن تكون قاعدة منتِجة.

إذن فناتج المعجم وقواعد التكوين إطار حملي يمثل للخصائص الدلالية، وهذا الإطار الحملي هو المصدر لبناء البنية الحملية التامة التحديد التي تتم عبر المراحل الآتية:

1. البنية الدلالية للجملة: تقوم على:

محمول يدل على واقعة مثل: (عمل: "شرب زيد اللبن"، أو حدث: "فتحت الريح الباب"، أو وضع: "جلس خالد على الكرسي"، أو حالة: "فرح الولد بلعبة العيد")، ويدخل في هذه المحمولات المشتقات (الأسماء).

عدد من الحدود تدل على الذوات المشاركة في الواقعة الدال عليها في المحمول، وهي بدورها صنفان:

[1] ـ ينظر: نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة احمد المتوكل، عبد الفتاح الحموز، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، طك 01، 1433هـ ـ 2012م، ص: 93 ـ 94.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص: 96 ـ 97.

حدود موضوعات تسهم في تعريف الواقعة ذاتها (الحد المنفِّذ، والحد المتقبَّل، والحد المستقبِل)؛ وعليه فجملة "شرب زيد اللبن" تشتمل على حدين؛ المحمول الفعلي: (شرب)، الحدان: المنفذ (زيد)، والمتقبل (اللبن)، وقد يكون للمحمول ثلاثة حدود موضوعات، كما في الجملة: "أعطى الغني الفقير ثوبا"؛ المحمول الفعلي: (أعطى)، الحدود: المنفذ (الغني)، المستقبل (الفقير)، المتقبل (الثوب).

حدود لواحق لا يتعدى دورها تخصيص الواقعة من حيث الزمان والمكان والحال، كما في الجملة الآتية: "أعطى خالد محمدا كتابا اليوم أمام المكتبة"؛ المحمول الفعلي: (أعطى)، والحدود الموضوعات: المنفذ (خالد)، المستقبل (محمدا)، المتقبل (كتابا)، الحدود اللواحق: مخصص زماني (اليوم)، مخصص مكاني (أمام المكتبة).

وعليه فالبنية العامة للحمل في النحو الوظيفي تقوم على: محمول، وحدود موضوعات، وحدود لواحق، وعلى ما سبق فإن المحمولات تصنف إلى: محمولات أحادية (ذات موضوع واحد)، محمولات ثنائية (ذات موضوعين)، محمولات ثلاثية (ذات ثلاثة موضوعات).

إذا كان المحمول لا يتضمن إلا حدود موضوعات فإنه إطار حملي نووي، وإذا اشتمل على حدود موضوعات، وحدود لواحق كان إطارا حمليا موسعا[1].

2. قواعد إدماج الحدود: وتتم بانتقاء من بين المداخل المعجمية الممثّل لها في المعجم، أو الناتجة عن قاعدة تكوين الحد الملائم فيدمج في الحد المعدّ له، فينتج لنا البنية الحملية الجزئية.
3. بنية حملية تامة التحديد: تتم عن طريق؛ قواعد تحديد مخصص المحمول من صيغة (التدليل).

وجهة (تامة، غير تامة، مستمرة، غير مستمرة، مشروع فيها، مقاربة).

وزمن (ماض، وحاضر، ومستقبل)[2]

[1] ـ اللسانيات الوظيفية، ص: 143 ـ 145.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص: 146.

وقواعد تحديد مخصصات الحدود وهي؛ التعريف، والتنكير، والعدد، والإشارة، والجنس[1].

وبتطبيق قواعد تحديد مخصص المحمول، ومخصصات الحدود نحصل على بنية حملية تامة التحديد.

ثانيا: البنية الوظيفية:

وفيها تتمثل الخصائص الوظيفية بنقل البنية الحملية التامة التحديد إلى بنية وظيفية عن طريق تطبيق مجموعتين من القواعد؛ قواعد إسناد الوظائف، وقواعد تحديد مخصص الحمل.

لكن قبل ذلك علينا أن نعرف ما معنى الوظيفة في النحو الوظيفي؟

لقد واكب استعمال مصطلح الوظيفة مفاهيم مختلفة، ويمكن إرجاع هذه المفاهيم إلى مفهومين اثنين؛ الوظيفة كعلاقة، والوظيفة كدور.

الوظيفة العلاقة:

المقصود به العلاقة القائمة بين مكونين أو مكونات في المركب الإسمي أو الجملة، وهذا المصطلح بهذا المعنى متداول بين جل الأنحاء مع اختلاف من نحو إلى آخر، وتكون الوظائف علاقات مشتقة حين يتم تحديدها على أساس موقع المكوّنات داخل بنية تركيبية معينة[2].

الوظيفة الدور:

ويقصد به الغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه.

---

[1] ـ ينظر: اللسانيات الوظيفية، ص: 147 ـ 148.

[2] ـ ينظر: التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، مكتبة دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، ط: 01، 1426هـ ـ 2005م، ص: 21 ـ 23.

ومما سبق نجد أن مفهومي الوظيفة كعلاقة وكدور متباينان؛ حيث أن العلاقة هي رابط بنيوي قائم بين مكونات الجملة أو مكونات المركب، في حين أن الدور يخص اللغة بوصفها نسقا كاملا، إلا أن هذا التباين لا يلغي ترابطهما من حيث أن وظيفة اللغة تحقيق التواصل بين مستعمليها تضاف إليها الوظائف التركيبية والدلالية وظائف أخرى، كما يغلب أن تتخذ الوظائف وضع وظائف أولى غير مشتقة(1).

---

[1] ـ نفسه، 23 ـ 24.

المحاضرة السادسة

الوظائف في نظرية النحو الوظيفي

1. قواعد إسناد الوظائف:

الوظائف في النحو الوظيفي ثلاثة أنواع:

وظائف دلالية:

ويقصد بها الأدوار التي يأخذها كل محل من محلات الموضوعات بالنسبة للواقعة التي يدل عليها المحمول[1] وتشتمل على الوظائف الآتية؛ (المنفذ، المتقبل، المستقبل، الأداة، المكان، الزمان، الحال)، وتستند إلى الإطار الحملي حيث يُحدَّد الموضوعُ دلاليا، ومن ثَمّ يأخذ وظيفته الدلالية، وعليه فهي تحدد دور موضوعات المحمول ولواحقه في الواقعة.

وظائف تركيبية:

وتشمل هذه الوظائف على وظيفتين هما؛ (فاعل، مفعول)، ويتم إسناد هاتين الوظيفتين إلى الحدود في الجملة وفق سلمية الوظائف الدلالية، وهي مفاهيم غير كلية بمعنى أنها غير واردة في كل اللغات الطبيعية.

يكون الحمل دالا على واقعة وعدد من الحدود المشاركين في الواقعة، وتنطلق الواقعة من وجهة معينة لتنتقي الحدود لتكون إما منظورا رئيسيا، أو منظورا ثانويا، وإلى الحدين تسند الوظيفتان التركيبيتان (الفاعل)، و(المفعول)، وتبقى الحدود غير الوجهية دون وظيفة تركيبية[2]، وهي ترمز إلى الوجهة المعتمدة في تقديم الواقعة، كما في الجملتين الآتيتين:

ناقش الأستاذ أطروحته هذا المساء في المدرج.

---

[1] ــ من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية الوظيفة المفعول في اللغة العربية، ص: 16.

[2] ــ ينظر: نفسه، ص: 150.

نوقشت أطروحةٌ هذا المساء في المدرج.

ويرتبط إسناد الوظيفتين الفاعل والمفعول بنوع الوظائف الدلالية التي تحملها حدود البنية الحملية[1]، وعلى هذا تكون الوظيفتان التركيبيتان الفاعل والمفعول في النحو الوظيفي على الشكل الآتي:

وظيفة الفاعل تسند إلى الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة التي تقدم انطلاقا منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل[2]. ومن هنا فوظيفة الفاعل تسند إلى الوظيفة الدلالية المنفذ، والمستقبل، والمتقبل[3].

أما الوظيفة المفعول فتسند إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة التي تقدم انطلاقا من الواقعة الدال عليها محمول الحمل[4]. ومنه فوظيفة المفعول في تسند إلى الوظائف الدلالية الآتية المتقبل والمستقبل[5].

وظائف تداولية:

تنحصر الوظائف التداولية في النحو الوظيفي في خمس وظائف منها الخارجية (المبتدأ، والذيل، والمنادى)، وسميت بذلك لأنها تُسند إلى مكونات تتموقع خارج الجملة[6]، والداخلية (البؤرة، والمحور)، وهي علاقات تقوم بين مكونات الجملة على أساس المقام الذي تنجز فيه الجملة، بمعنى آخر فهي على أساس البنية الإخبارية المرتبطة بالمقام، وبالتالي فهي تُحدد وضع المكوّنات داخل البنية الإخبارية، فهي

---

1 ـ من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية...، : 23.

2 ـ من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية، ص: 19.

3 ـ نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل، ص: 470.

4 ـ من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية، ص: 19 ـ 20.

5 ـ نحو اللغة العربية الوظيفي، ص: 490.

6 ـ المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص: 95.

التي تقوم بتحديد العلاقات بين مكونات الجملة على حسب التواصل بين المتكلم والمخاطب، أو الوضع التخابري بينهما[1].

الوظائف الداخلية:

البؤرة: وهي المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة[2]، أو التي يجهلها المخاطب أو يشك في صحتها أو ينكرها، وعلى هذا فهي نوعان؛ من حيث الطبيعة؛ بؤرة الجديد، وبؤرة المقابلة، ومن حيث المجال؛ بؤرة المكوّن، وبؤرة الجملة[3].

المحور: وهو المكوّن الدال على المكوّن الذي يكون محط الحديث عنه في الجملة.[4]

الوظائف الخارجية:

المبتدأ: هو ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا[5]، مثل: (زيدٌ، قام أبوه)، الجملة تتكون من ركنين؛ حمل: (قام أبوه)، ومبتدأ: (زيد)، وهو الذي يحدد المجال الذي يعتبر إسناد مجموع الحمل إليه واردا؛ بمعنى أن يكون المبتدأ صالحا للإحالة على ما بعده، ويكون المخاطب قادرا على التعرف على ما يحيل إليه المبتدأ، فالإحالة على المجهول لا يفيد؛ فهو لحن تداولي[6].

---

[1] ـ نحو اللغة العربية الوظيفي، ص: 109.

[2] ـ الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط: 01، 1405هـ ـ 1985م، ص: 28.

[3] ـ الوظائف التداولية...، ص: 28.

[4] ـ الوظائف التداولية...، ص: 69.

[5] ـ الوظائف التداولية...، ص: 115.

[6] ـ ينظر: الوظائف التداولية...، ص: 119 ـ 120.

الذيل: هو الذي **يوضّح** معلومة داخل الحمل أو **يعدّلها** أو **يصححها**؛ فالذيل على هذا ثلاثة: ذيل توضيح، وذيل تعديل، وذيل تصحيح، ويكون ذلك وفقا طبقا لإنتاج الخطاب بحسب مقاماته، مثل:

أخوه مسافر، **زيد**.

نجح، **الطالبان**.

ساءني زيد، **سلوكه**.

قرأت الكتاب، **نصفَه**.

قابلت اليوم زيدا، **بل عمرا**.

يتضح من خلال الأمثلة السابقة أن المتكلم يعطي المخاطب كلاما ثم يدرك أنه ليس هو المقصود **فيوضحه** أو **يعدله** أو **يصححه**، ولهذا نرى في كل مثال فاصلة بين الذيل وما قبله.

المنادى: تسند وظيفة المنادى إلى المكوّن الدال على الكائن المنادى في مقام معين[1]؛ فهذه الوظيفة تسند إلى المكوّن الدال على الكائن المدعو[2]، مثل:

يا **زيد**، جاء الضيوف.

يجب أن نميز بين النداء كفعل لغوي، والمنادى كعلاقة ووظيفة التي يرتبط إسنادها بالمقام، فهما يتلازمان حيث ما وجد النداء (الفعل الكلامي) يوجد المنادى (الوظيفة).

---

[1] ـ الوظائف التداولة...، ص: 160.

[2] ـ الوظائف التداولية...، ص: 162.

المحاضرة السابعة

(تابع) الوظائف في نظرية النحو الوظيفي

ثالثا: البنية المكوّنية:

ويقصد بها البنية الصرفية التركيبية بتطبيق قواعد التعبير التي تشتمل على جملة من القواعد وهي:

قواعد صياغة الحدود

قواعد صياغة المحمول

قواعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية

قواعد الموقعة

قواعد إسناد النبر والتنغيم[1]

وفيما يأتي هذا توضيح وشرح لهذه القواعد

قواعد صياغة الحدود:

إن البنية الحملية للحد بنية منطقية تقوم أساسا على مفهوم التقييد؛ تقيد مجموعة بعدد من المقيدات، ومن هنا تتكفل قواعد صياغة الحد بنقل البنية الحملية إلى بنية صرفية تركيبية (مركب) وهذه القواعد تضطلع بنقل الحد إلى مركب، حيث أن:

الحد يتألف من مقيد واحد أو عدد من المقيدات.

يتم إدماج المخصص بدمج المعرِّف (أداة التعريف) الألف واللام في الاسم النكرة.

تَتَرتب المكوّنات داخل المركب بتقديم أداة التعريف على العنصر الرأس الذي يتقدم على العنصر الفضلة.

---

1 ـ ينظر: اللسانيات الوظيفية، ص: 160 ـ 181.

تستكمل صياغة المركب بإسناد الحالة الإعرابية؛ حيث تسند الحالات الإعرابية[1] طبقا للوظيفة المسندة إلى الحد في مستوى البنية الوظيفية[2]، فكيف تحدد الوظيفة الحالة الإعرابية.

إن الحالة الإعرابية تتفاعل في تحديدها جميع الوظائف وتكون سلمية تحديد الإعراب على الشكل الآتي:

الوظائف التركيبية > الوظائف الدلالية > الوظائف التداولية

- إذا كان المكوّن يحمل وظيفة تداولية فقط فإنه يأخذ الحالة الإعرابية التي تخوله إياها وظيفته التداولية، مثل وظيفة المنادى، ووظيفة المبتدأ، ووظيفة الذيل؛ مثل: يا زيد، أقبل الضيوف، زيد، أبوه كريم، أو نجح، الطالبان.
- إذا كان المكوّن ينتمي إلى الحمل ذاته ولا يحمل إلا وظيفة دلالية فإنه يأخذ الحالة الإعرابية (النصب) التي تخولها له وظيفته الدلالية؛ كالمفعول الأول أو الثاني، مثل: شرب أحمد اللبنَ.
- إذا كان المكوّن يحمل أكثر من وظيفة فإنه يأخذ الحالة الإعرابية التي تقتضيها الوظيفة التركيبية (الفاعل، والمفعول) مهما كانت بقية الوظائف الأخرى، مثل: شرب أحمدُ اللبنَ.
- إذا كان المكوّن خارجا عن الحمل ذاته فهو غير حامل لوظيفة دلالية أو وظيفة تركيبية، فإنه يأخذ الحالة الإعرابية التي تقتضيها وظيفته التداولية كالمبتدأ؛ زيدٌ، أبوه مسافر، وذلك لأنه خارج عن الحمل وغير حامل لوظيفة تركيبية أو دلالية.
- إذا كان المكوّن غير وجهي أي غير حامل لوظيفة تركيبية فإنه يأخذ الحالة الإعرابية التي تقتضيها وظيفته الدلالية (النصب) أو (الجر)؛ كالمفعول

[1] ـ الحالات الإعرابية في نحو اللغة العربية الوظيفي حالاتان كما يرى أحمد المتوكل؛ حالات إعرابية لازمة تلازم المكوّن في كل التراكيب اللغوية لا تفارقه (البناء)؛ فهي مجردة من الرفع والنصب والجر، وحالات إعرابية غير لازمة تتغير بتغيير أوضاع المكوّن الوظيفية وهذه الحالات قد تظهر على السطح، وقد تختفي.

[2] ـ إن الحد يحمل وظيفة دلالية واحدة، او وظيفة دلالية وأخرى تركيبية، أو يحمل وظيفة دلالية، وأخرى تركيبية، وثالثة تداولية.

لأجله، أو الحال، أو التمييز، أو الظرف، أو الاسم المجرور، مثل: وقف خالد احتراما لأبيه، قبل الولد مسرورا....

- يأخذ المكوّنان الفاعل والمفعول الحالتين الإعرابيتين الرفع والنصب طبقا وظيفتيهما الدلاليتين، كما يحافظان على الحالتين الإعرابيتين سواء أكانا محورين مثل: متى رجع أحمد من السفر، أو قابل أحمدَ عمرُ. أم كانا بؤرتي جديد، مثل: رأيت زيدا البارحة، وقف أحمد أمام الباب. أم بؤرتي مقابلة، مثل: ما زارني إلا إبراهيمُ، إبراهيمَ رأيت اليوم.

قواعد صياغة المحمول:

لقواعد صياغة المحمول دور في نقل المحمول من صورته المجردة إلى صياغة صرفية تامة وذلك بإجراء مجموعة من القواعد.

إن الصرف في النحو الوظيفي صرفان؛ صرف اشتقاق، وصرف تصريفي؛ يتم الصرف الأول في مستوى الأساس حيث يتم اشتقاق محمولات (أوزان) فرعية من محمولات (أوزان) أصول.

هذه القواعد الصرفية السابقة لا تحدد الصياغة التامة للمحمول إلا بواسطة النوع الثاني من قواعد الصرف حيث تتكفل هذه الأخيرة انطلاقا من المعلومات الواردة في البنية الوظيفية حول مخصص المحمول الصيغي الزمني بإعطاء الصيغة الصرفية التامة صيغة (الماضي)، أو صيغة (المضارع) مجردتين كما في الجملتين الآتيتين: باع التاجر سيارته.

يكتب الطالب بحثا في النحو.

أو مضافا إليها (فعل مساعد) كما في الجملة الآتية:

كان الطالب يكتب بحثا في النحو.

قواعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية:

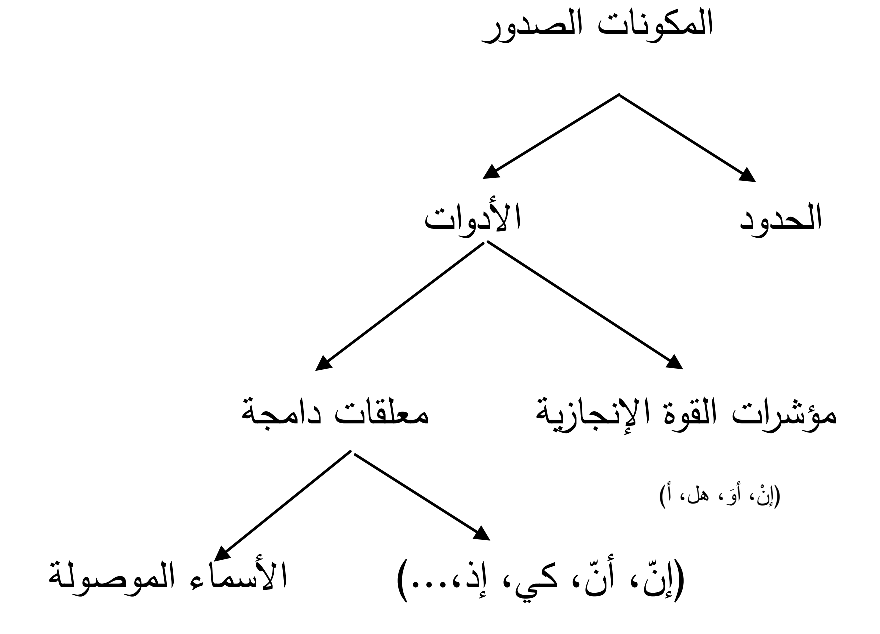
يتصدر الحمل ثلاثة أنواع من المكونات هي:

حدود: مثل الأسماء بصفة عامة (أسماء الاستفهام...) التي يتم إدماجها باعتبارها حدودا، فهي كبقية الحدود.

مؤشرات للقوة الإنجازية: مثل حرفي الاستفهام (أ، هل، أوَ)، حروف الترجي، والتمني، الإخبار...

معلقات دوامج: وهي الأدوات التي تستخدم للربط بين جملتين مثل: أنَّ، والضمائر، والأسماء الموصولة.

وفي الجدول الآتي تقسيم للمكونات الصدور في اللغة العربية:



وبعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية تصبح البنية متضمنة لجميع مكوناتها، إلا أن هذه المكونات تظل غير مرتبة، الأمر الذي يقتضي إجراء مجموعة أخرى من قواعد التعبير التي تعرف بـ(قواعد الموقعة)[1].

قواعد الموقَعَة:

[1] ـ اللسانيات الوظيفية...، ص: 174.

المواقع في البنية صنفان؛ مواقع داخلية (موقع مصدري [أدوات الصدور]، فعل، فاعل، مفعول)، وموقعان خارجيان (موقع المبتدأ، موقع الذيل).

تخضع قواعد الموقَعَة إلى (قيد أحادية الإسناد أو الموقع)؛ حيث أن هذه القيود هي التي تضبط إسناد الوظائف للمكونات، وعليه فإن قيد أحادية الموقع تشترط أن: لا يحتل الموقعَ أكثر من مكون واحد؛ وبمعنى آخر أن لا يكون للمكون أكثر من وظيفة من كل نوع من الوظائف الثلاثة، فلا يمكن للمكون أن يحمل وظيفتي الفاعل والمفعول في نفس الحمل، كما لا يمكن للموضوع الواحد أن يحمل وظيفتي البؤرة والمحور في نفس الحمل[1].

وعلى هذا فإن تأثير الوظائف الدلالية في ترتيب المكونات يبدو بارزا في النحو الوظيفي، وهذا ما يبين التفاعل بين الوظائف الثلاثة في تحديد المواقع كما هو موضح في سلمية تحديد المواقع:

الوظائف الدلالية > الوظائف التركيبية > الوظائف التداولية.

قواعد إسناد النبر والتنغيم:

يتم استكمال البنية المكونية في النحو الوظيفي بإسناد النبر والتنغيم إلى المكونات، حيث:

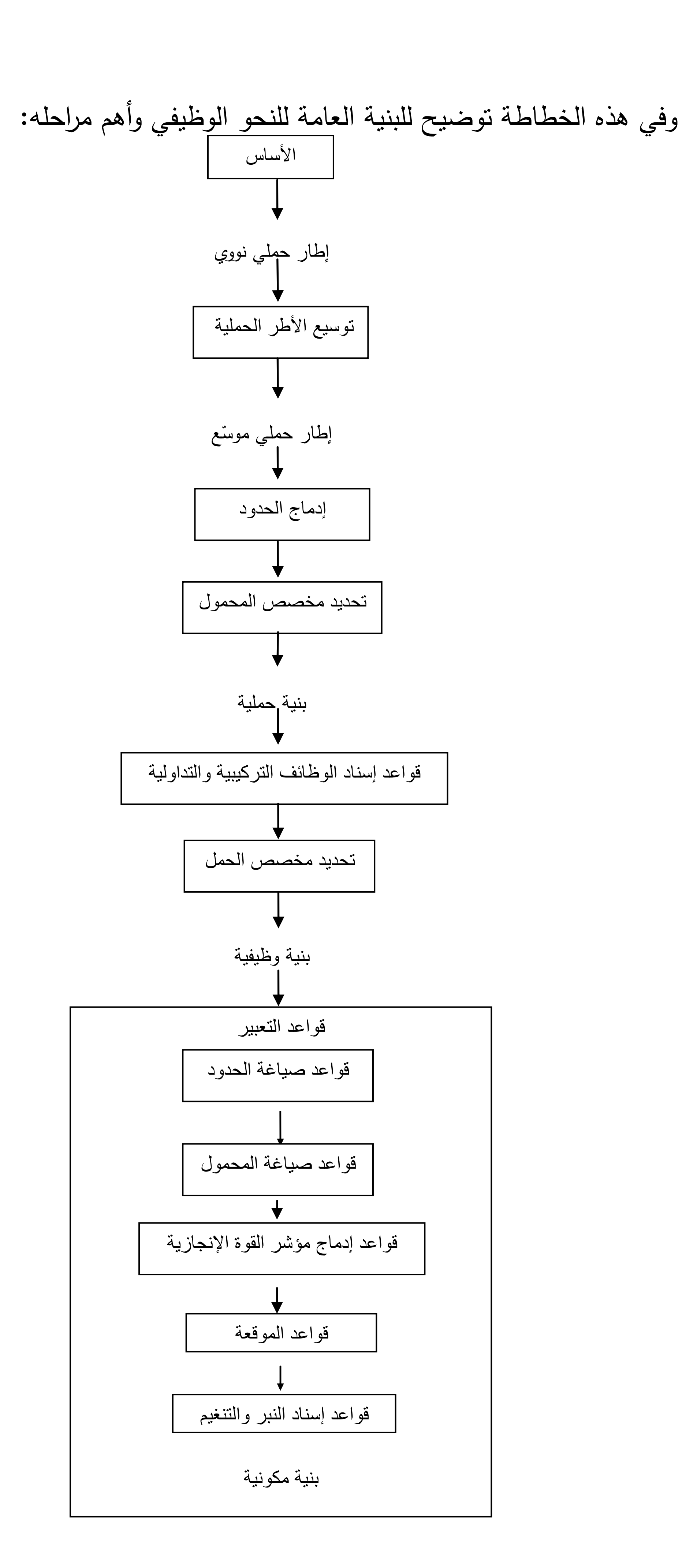
يسند النبر المركزي إلى المكون الحامل للوظيفة التداولية (البؤرة) سواء أكان حاملا لبؤرة الجديد، أم لبؤرة المقابلة.

تُجرى قاعدة التنغيم وِفقا لمؤشر القوة الإنجازية.

وبإجراء قاعدتي النبر والتنغيم نحصل على بنية مكونية تامة التحديد يمكن أن تشكل دخلا للقواعد الصوتية التي تنقلها إلى جملة محققة بالفعل الكلامي.

[1] ـ ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية...، ص: 39 ـ 41.

وفي هذه الخطاطة توضيح للبنية العامة للنحو الوظيفي وأهم مراحله:



المحاضرة الثامنة

بنية الجملة وأنماطها في النحو الوظيفي

يرى النحو الوظيفي أن بنية الجملة هي البنية الأساس، وأن بنية النص ليست إلا إسقاطا لبنية الجملة، ويرى سيمون ديك أن النحو الوظيفي لا يمكن أن يكون نحو جملة؛ وذلك نظرا لتوجهه الوظيفي التداولي، ومن هنا فهو نحو خطاب واصفا ومفسرا للملفوظ والمكتوب اللغويين[1]؛ فالنحو الوظيفي لا ينظر إلى الجملة إلا بوصفها مرحلة عملية أولية تسبق النص وتمهد له، وعلى هذا فقد أشار ديك إلى الانتقال بالنحو الوظيفي من نحو الجملة إلى نحو النص، ويقوم مشروع النحو الوظيفي النصي على مرتكزات أهمها:

- التواصل بين مستعملي اللغة الطبيعية لا يتم عن طريق جمل منفردة، وإنما يتم بواسطة نصوص كاملة.
- النص ليس سلسلة اعتباطية من الجمل المرصوف بعضها جانب بعض، وإنما هو مجموعة من الجمل البسيطة والمركبة تشكل وحدة تواصلية تربط بينها قوانين الاتساق.
- البنية الداخلية للجملة يحددها النص الذي ترد فيه؛ لأن بنية النص لا تختلف عن بنية الجملة بل تناظرها، فكل منهما تتضمن مستويين؛ المستوى العلاقي وفيه طبقتان؛ طبقة إنجازية، وطبقة وجه، والمستوى التمثيلي وفيه ثلاث طبقات؛ طبقة التأطير، وطبقة التسوير، وطبقة الوصف، كما أن للنص نواة[2] فإن للجملة نواة[3] كذلك.

---

[1] ـ ينظر: الوظيفة بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، ط: 01، 1424هـ ـ 2003م، ص:97.

[2] ـ النواة في النص هي مجموع محمولات الجمل التي تكون النص.

[3] ـ النواة في الجملة هي محمول (فعل، اسم، صفة...).

النص كالجملة ينقسم إلى وحدات ووحداته عبارة عن قطع وقطع فرعية وفقرات، تقوم بين وحدات النص علاقات يحددها نمط النص فهي تناظر العلاقات القائمة بين وحدات الجملة وتقوم بالأدوار التي تقوم بها الحدود في الجملة.

أنواع الجمل في النحو الوظيفي:

الجمل في النحو الوظيفي نوعان؛ وذلك بحسب عدد الحمول التي تتضمنها وتحتويها.

الجملة البسيطة:

وهي الجمل التي تحمل حملا واحدا، وقد سبقت الإشارة إليها.

الجملة المركبة:

وهي الجملة المتضمنة لأكثر من حمل واحد[1]، وبحسب ترابط الحمول التي تتضمنها يمكن تقسيم الجمل المركبة إلى؛ جمل مستقلة، وجمل مدمجة.

أنماط الجمل في النحو الوظيفي:

الجمل المدمجة:

وهي التي يشكل فيها كل حمل حدا موضوعا أو لاحقا بالنظر إلى الحمل الرئيسي، مثل:

بلغني أنك مسافر.

يتمنى خالد أن يعود أخوه من السفر.

---

[1] ــ المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 104.

فالجملة الأولى تتضمن حملين؛ الحمل الأول (بلغني)، والحمل الثاني (أنك مسافر)، وكذلك الأمر مع الجملة الثانية حيث أن (يتمنى خالد) الحمل الأول، بينما (أن يعود أخوه من السفر) الحمل الثاني.

وعليه فإن الحمل الثاني من الجملتين أخذ مكان حد من الحدود، وبالتالي فهو يأخذ وظيفة من الوظائف الثلاثة المعروفة لدينا (دلالية، تركيبية، تداولية)؛ وعلى هذا يصبح لدينا في الجمل المدمجة حمل رئيسي، وحمل مدمج.

تنقسم الحمول المدمجة إلى حمول تشكل حدودا، وحمول تشكل أجزاء للحدود، مثل:

يتمنى خالد أن يعود أخوه من السفر.

قرأت الكتاب الذي أعرتني بالأمس.

فالحمل المدمج (أن يعود أخوه من السفر) يشكل حد المفعول بالنسبة للمحمول الرئيسي، والحمل المدمج (الذي أعرتني بالأمس) يشكل جزء من حد المفعول.

الحمول الحدود تنقسم بدورها إلى حمول موضوعات، وحمول لواحق، مثل:

تمنيتُ أن تنجح في امتحان.

غادرت المدينة قبل أن تغرب الشمسُ.

فالحمل المدمج (أن تنجح في الامتحان) حد موضوع بالنسبة للحمل الرئيسي، بينما الحمل المدمج (أن تغرب الشمسُ) حد لاحق بالنسبة للحمل الرئيسي[1].

الجمل غير المدمجة (المستقلة):

وهي التي تتضمن حمولا لا تشكل حدودا بالنسبة للحمل الرئيسي، فهي مستقلة عن بعضها البعض[1].

---

[1] ـ ينظر: اللسانيات الوظيفية...، ص: 235 ـ 236، والمنحى الوظيفي...، 104.

ويمثل هذا النوع من الجمل في النحو الوظيفي؛ الحمول الاعتراضية، والحمول المتعاطفة، المتضمنة لحمل مبتدأ، والمتضمنة لذيل، مثل:

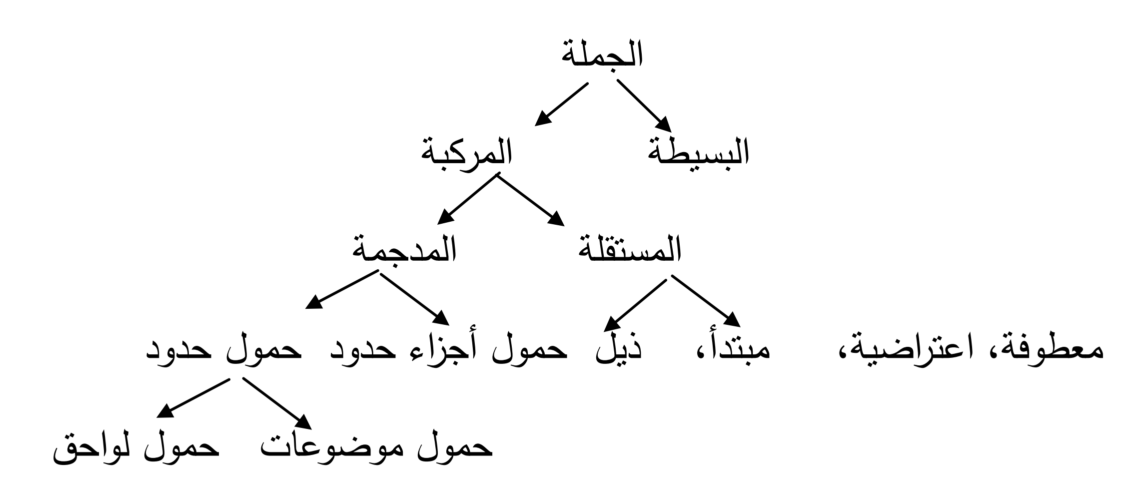
قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بني الإسلام على خمس...

قام عمر وأغلق باب الغرفة.

قال الله تعالى: وأن تصوموا خير لكم

قال الله تعالى: هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله...

وهذه الخطاطة تبين أنواع الجمل وأنماطها في النحو الوظيفي:



الحمول الموصولية:

هي التي تشكل جزء من حدود أو حدا من حدود الحمل الرئيسي، وتنقسم إلى قسمين؛ مدمجة؛ وهي نمطان؛ حمول موصولية حرة، وحمول موصولية تقييدية، ومستقلة (غير مدمجة)؛ وهي حمول موصولية غير تقييدية[2].

الحمول الموصولية الحرة:

[1] ـ ينظر: اللسانيات الوظيفية...، ص: 235.

[2] ـ اللسانيات الوظيفية...، ص: 236.

هي التي تشكل حدا من حدود الحمل المدمجة فيه؛ وهي التي لا رأس لها (مركب اسمي)؛ فقد تكون فاعلا، أو مفعولا، كما في الجمل الآتية:

وقع الذي تمنيت أن يقع.

قابلت من كنت انتظر.

الحمول الموصولية التقييدية:

وهي الحمل الذي يكون مدمجا في الحمل الرئيسي ذات الرأس (المركب الاسمي)؛ فهي تشكل مقيِّدا داخل حد من حدود الجملة التي تتضمنها، مثل:

جاء الرجل الذي انتظرته.

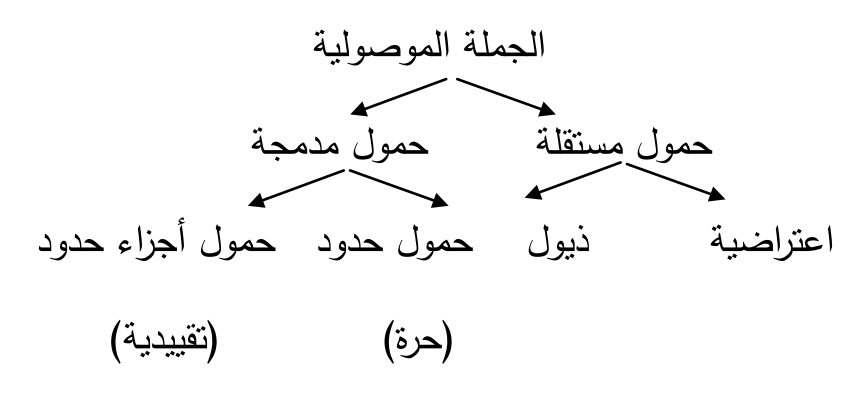
ساءتني اللهجة التي خاطب بها زيد أباه.

الجملة الموصولية غير التقييدية:

وهي الحمل الذي يمتاز بالاستقلال بالنظر إلى الحمل الرئيسي؛ فهي تشكل فعلا خطابيا مستقلا، وبالتالي فهي غير خاضعة للقوة الإنجازية التي خضع لها الحمل الرئيسي[1]؛ فقد تكون جملة بدلية، أو ذيلا، مثل:

سُرَّ الطالب، الذي نجح في امتحان التخرج.

زرت محمدا، الذي نجح في الامتحان الأخير.



[1] ـ ينظر: اللسانيات الوظيفية...، ص: 237، ونحو اللغة العربية الوظيفي...، ص: 332.

المحاضرة التاسعة

الحمول الحدود

يطلق مصطلح الحمول الحدود في النحو الوظيفي على تلك الجمل التي تحل محل حد من الحدود آخذة وظيفته الدلالية، أو وظيفته التركيبية، أو وظيفته التداولية. كما يحتل الحمل الحد المواقع نفسها التي يمكن أن يحتلها الحد الاسم، وهو بذلك ينزع إلى احتلال المواقع الأخيرة في الجملة، ولو اقتضت وظيفته التركيبية أو التداولية تقديمه[1].

وظائف الحمول الحدود:

تأخذ الحمول الحدود عادة الوظائف التي تسند إلى الحدود البسيطة[2]، فيمكن للحمل الحد أن يحمل:

الوظيفة دلالية (القوة)، كقولنا: سرّ المعلمَ أن ينجح طلابه في الامتحان.

والوظيفة الدلالية (المنفذ)، كقولنا: قتل بكرا الذي هدده بالأمس.

والوظيفة الدلالية (المتقبل)، كقولنا: طلب خالد من محمد أن يزوره.

والوظيفة الدلالية (المستقبل)، كقولنا: أعطيت الذي زارني أمس كل ما يحتاج.

ووظيفة الحد اللاحق (الزمان)، كقولنا: غادر الولد القاعة قبل أن يصل أباه.

ووظيفة الحد اللاحق (العلة)، كقولنا: عاد الرجل من السفر لأنه أخبر بنبإ عاجل.

ووظيفة الحد اللاحق (الهدف)، كقولنا: خرجت العائلة إلى المنتزه كي تتنزه.

---

[1] ـ ينظر: اللسانيات الوظيفية...، ص: 245.

[2] ـ اللسانيات الوظيفية، ص: 239.

وتسند إلى الحمل الذي يقوم مقام الحد الموضوع إحدى الوظيفتين التركيبيتين (الفاعل، والمفعول)، كما في الجمل الأتية:

سرّ المعلمَ أن ينجح طلابه في الامتحان.

فالحمل (أن ينجح طلابه في الامتحان) أسندت إليها وظيفة الفاعل.

وجملة: طلب خالد من محمد أن يزوره.

فالحمل (أن يزوره) أسندت إليه وظيفة المفعول.

كما تسند الوظائف التداولية إلى الحمول التي تقوم مقام الحدود التي تحمل الوظائف التداولية، فيمكن للحد أن يحمل:

الوظيفة التداولية (المحور)، كما في قولنا: فرح (الذي تحصل على علامة جيدة).

والوظيفة التداولية (البؤرة)، كما في قولنا: أفرح الولدَ (أنّ أباه اشترى له لعبة العيد)[1].

[1] ـ يحمل الحمل وظيفة البؤرة الجديد إذا كان مصدرا بأدوات مؤكِدة (إن، قد، إنما) ينظر الوظائف التداولية...، ص: 32.

المحاضرة العاشرة

الحمولة الإنجازية في نظرية النحو الوظيفي

مفهوم الحمولة الإنجازية

هي ما يواكب عبارة لغوية ما من قوى إنجازية (دلالات) باعتبار الطبقات المقامية التي يمكن أن تنجز فيها تلك العبارة. وهي قوتان؛ قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة.

القوة الإنجازية الحرفية

هي التي تلازم العبارة اللغوية في مختلف المقامات التي ترد فيها[1]، وبمعنى آخر هي السمات الصورية (صرفية، وتركيبية، وتنغيمية) التي تأتي عليها العبارة اللغوية؛ فهي تؤخذ من صيغة العبارة مباشرة، والتي تُسهم في الإخبار عنها مكوناتُها متضامةً[2]، أو هي الأفعال الكلامية الصريحة المباشرة الدالة على الغرض من كلام المتكلم إخبارا أو طلبا.

القوة الإنجازية المستلزمة

هي التي تدخل على العبارة اللغوية في مقام معين؛ حيث لا يتم تولّدها إلا في طبقات مقامية معينة، فهي تزيد على الخاصية الحرفية وضعا مقاميا[3]، أو هي الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تتولد عن استعمال أساليب وعبارات للدلالة على غيرها.

---

[1] ـ ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، ط: 01، 1993م، ص: 23.

[2] ـ ينظر: نحو اللغة العربية الوظيفي، ص: 559.

[3] ـ ينظر: نفسه، ص: 23.

فالفرق بين القوتين يكمن في أن القوة الإنجازية الحرفية تدل عليها صورة العبارة، سواء كانت منطوقة أم مكتوبة، أما القوة الإنجازية المستلزمة فتحتاج إلى سلسلة من الاستدلالات التي يقوم بها المخاطب كي يستنتج مقصود المتكلم. ونورد في هذا المقام المثالين الآتيين للتوضيح:

مَنْ في البيت؟

هل تصاحبني إلى الحديقة؟

فالمثال الأول مجرد سؤال عَمَنْ في البيت، فحمولتها الإنجازية هنا هي مجرد السؤال، أما في المثال الثاني فيفهم منه أن هناك التماسا يطلبه المتكلم من المخاطب.

كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾ [آل عمران 8]، في الآية الكريمة نجد فعلين كلاميين الأول يفيد النهي (لا تزغ)، والثاني يفيد الأمر(هب)، وهذا الكلام المباشر ليس هو المقصود من المؤمنين، وهو ما جعل القوة الإنجازية الحرفية للنهي والأمر مستبعدة لغياب شرط الاستعلاء، وحلّت محلها قوة إنجازية مستلزمة (فعل كلامي غير مباشر) تُفهم من سياق الكلام وهي الطلب والدُّعاء؛ فأصبح للفعل الكلامي (ربنا لا تزغ قلوبنا) فعلان كلاميان؛ الأول مباشر وهو القوة الإنجازية الحرفية للنهي، والثاني غير مباشر وهو القوة الإنجازية المستلزمة، ونفس الشيء مع الفعل الكلامي (هب لنا من لدنك رحمة) حيث نجد فعلين كلاميين الأول مباشر وهو القوة الإنجازية الحرفية للأمر، والثاني غير مباشر وهو القوة الإنجازية المستلزمة، التي تفهم من سياق الكلام وهي الطلب والدُّعاء، وكل فعل كلامي يُنجز عبر ثلاثة أفعال مترابطة هي:

الفعل الكلامي: وهو فعل القول المتلفظ به في سياق لغوي تواصلي متعارف عليه.

الفعل التكلمي: وهو الفعل الإنجازي الذي يقوم به المتكلم أثناء تلفظه، ويمثل الغرض من التلفظ (إخبارا، أو أمرا، أو استفهاما، أو تعجبا)

الفعل التكليمي: وهو الأثر الذي يُحدثه التكلم أو التلفظ لدى المخاطب كأن يُصدِّق الخبر أو يُكذِّبه، ويستجيب أو يرفض.

وتظل القوة الإنجازية المستلزمة مختلفة عن القوة الإنجازية الحرفية في ثانويتها، وفي كونها مرتبطة مقاميا، كما أنها تظل متحفظة ما لم تتعرض لظاهرة التحجر[1].

ظاهرة التحجّر والقوة الإنجازية المستلزمة

قد يحصل عبر التطور اللغوي أن يتغير وضع القوتين الحرفية والمستلزمة؛ بحيث تصبح القوة الثانية تعدِل أو تفوق أهمية القوة الأولى، مثلا:

هل تستطيع أن تناولني الملح؟

ألم أنذرك؟

إن الجملة الأولى تواكبها قوتان إنجازيتان: قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزَمة، وهما على التوالي "السؤال"، و"الالتماس".

وهي بهذه السمة، تساير الجملة الثانية في الأمثلة السابقة في الحديث عن حمولتها الإنجازية، إلا أن ثمة فرقا واضحا بين الجملتين يكمن في أن العلاقة بين قوتي جملة (هل تستطيع أن تناولني الملح؟) ليست العلاقة بين القوتين اللتين تواكبان جملة (هل تصاحبني إلى الحديقة؟). فالقوة المستلزمة "الالتماس" في جملة (هل تستطيع أن تناولني الملح؟) ليست ثانوية بالنسبة للقوة الحرفية "السؤال"، بل إنها تضارعها، على الأقل، من حيث الأهمية بالنظر إلى التأويل العام للجملة. لذلك يمكن أن نقول إن للجملة (هل تستطيع أن تناولني الملح؟)، بخلاف الجملة (هل

[1] ـ ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص: 29.

تصاحبني إلى الحديقة؟)، قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة أصبحت بالتداول من الأهمية بحيث يمكن عدُّها قوة حرفية ثانية. ومن الملحوظ أن ظاهرة انتقال القوة المستلزمة من وضع قوة ثانوية إلى وضع قوة أساسية، تُشكّل نزوعا عاما بالنسبة للتراكيب المتضمنة للمحمولات التي من قبيل "استطاع" ولئن كانت القوة الإنجازية المستلزمة تعدل أهميةً القوة الإنجازية الحرفية في الجملة (هل تستطيع أن تناولني الملح؟)، فإنها في الجملة (ألم أنذرك؟) تكاد تكون القوة الحرفية الوحيدة؛ فالذي يتبادر إلى الفهم من الجملة هو الإخبار المثبت، على أساس أنها ترادف (لقد أنذرتك)، لا السؤال[1].

وعليه فإن القوة الإنجازية المستلزمة تفقد سمَتها بالتدريج عبر التطور اللغوي؛ حيث تصبح معنى معمَّما يواكب ذلك التركيب في جميع مقامات إنجازه، وتصبح بذلك قوة "إنجازية حرفية" لا تقل أهمية عن القوة الإنجازية الحرفية الأصل.

ومنه فإن القوة الإنجازية الناتجة عن استلزام مقامي معين قد تتعرض كباقي جوانب العبارات اللغوية لظاهرة ما يمكن تسميته "التحجُّر"، الذي قد يقف عند هذه المرحلة؛ مرحلة توارد قوتين إنجازيتين على التركيب الواحد، إحداهما قوة حرفية أصلية، والثانية قوة مستلزمة اكتسبت عبر الاستعمال وضع القوة الحرفية، وقد يستمر حتى يبلغ منتهاه في هذه الحالة، تصبح القوة الحرفية الأصلية شبه منعدمة، وتنفرد بذلك القوة المستلزمة بتشكيل الحمولة الإنجازية للعبارة.

إن ظاهرة التحجر تشكّل حين يتعلق الأمر بالقوة الإنجازية المستلزمة مسلسلا مدرَّج التحقق، وأهم مراحله مرحلتان:

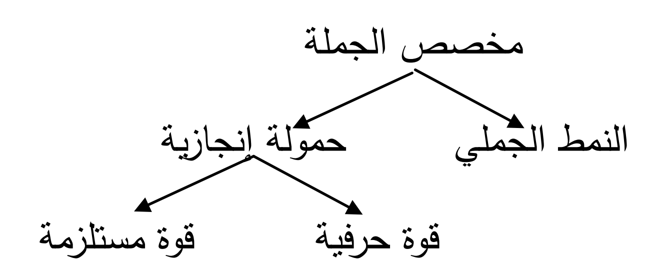
1. مرحلة تنتقل فيها هذه القوة من وضع قوة مستلزَمة رهينة بمقتضيات المقام إلى قوة حرفية تلازم القوة الحرفية الأصل أوتماثلها أهمية إن لم تفُقْها.

[1] ـ آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص:25.

2. مرحلة تنسحب فيها القوة الحرفية الأصل انسحابا يكاد يكون كليا تاركة للقوة المستلزمة فرصة التفرد بتشكيل مجال العبارة الإنجازي.

بين القوة الإنجازية والنمط الجملي

كثيرا ما يلتبس علينا الأمر فلا نميّز بين الحمولة الإنجازية للعبارة اللغوية، والنمط الجملي الذي تنتمي إليه؛ فالنمط الجملي يشمل (خبر، استفهام، أمر، تعجب) أما الحمولة الإنجازية فهي تلك الدلالات (القوى الإنجازية) التي تواكب الجملة.



فالتنميط الجملي أربعة كما سبق، وقد يدل على قوة إنجازية مضافة حسب السياق والمقام الذي ترد فيه العبارة، نأخذ هذه العبارات:

يسعدني أن أراك كل يوم.

إن السماء تنذر بالمطر.

رب أجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

أعرني كتابك الليلة.

اقض معي عطلة الصيف.

هل تقضي معي عطلة الصيف؟

يسرني أن تقضي معي عطلة الصيف.

ما أجمل أن تقضي معي عطلة الصيف!

لكل عبارة من هذه العبارات السابقة نمط يختلف عن نمط العبارة الأخرى؛ فالعبارتان الأولى والثانية خبريتان إلا أنهما تحملان قوة إنجازية مستلزمة هي على التوالي: الدعوة، والإنذار.

أما العبارات الثالثة والرابعة والخامسة فهي على نمط الأمر، وتحمل قوة إنجازية تضاف إلى صيغتها النمطية متمثلة في القوة الإنجازية المستلزمة على التوالي كالآتي: الدعاء، والالتماس.

أما العبارات السادسة والسابعة والثامنة فكلها تحمل قوة إنجازية مستلزمة واحدة هي الالتماس، إلا أن تنميطها مختلف من استفهام وخبر وتعجب. الملاحظ إذن أن أنماط العبارات غير القوة الإنجازية المستلزمة التي تحملها العبارة، ومما سبق نستلخص الآتي:

1. يندرج في مجال مخصص الجملة النمط الجملي الذي تنتمي إليه من ناحية (خبر، استفهام، أمر، تعجب)، والحمولة الإنجازية (أي مجموع القوى الإنجازية) التي تواكبها من ناحية أخرى.
2. القوة الإنجازية قوتان؛ قوة حرفية، وقوة مستلزمة مقاميا.
3. قد يواكب العبارة اللغوية الواحدة أكثر من قوة إنجازية مستلزمة.
4. تختلف القوة المستلزمة عن القوة الحرفية في ثانويتها، وفي كونها مربوطة مقاميا، وتظل محتفظة بهاتين السمتين ما لم تتعرض لظاهرة التحجر.
5. يكون التحجر بالنسبة للقوة الإنجازية المستلزمة إما جزئيا أو تاما، جزئيا حيث تصبح القوة الإنجازية المستلزمة غالبة إلا أنها لا تمنع حضور القوة الإنجازية الحرفية، وتاما حيث يبلغ التحجر منتهاه وتصبح القوة الإنجازية الحرفية غير واردة وتحل محلها القوة الإنجازية المستلزمة[1].

[1] ـ آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص: 28 ـ 29.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، سلسلة بحوث ودراسات رقم 5، المملكة المغربية، ط: 01، 1993م.
2. الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكرياء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 1، 1982م.
3. أهم المدارس اللسانية، عبد القادر المهيري وآخرون، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط: 2، 1990م.
4. البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة و بناء الجملة، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 1990م.
5. تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد اباه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 2، 1429هـ - 2008م.
6. التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط: 1، 1429هـ - 2008م، ص: 18.
7. التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، مكتبة دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، ط: 01، 1426هـ - 2005م.

8. الجملة البسيطة، ميشال زكرياء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 1983م.

9. الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط: 01، 1431هـ-2010م.

10. دروس في التركيب، محمد الشكيري، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط: 1، 1426هـ - 2005م، ص: 14.

11. في نحو اللغة العربية وتراكيبها: منهج وتطبيق، عمايرة خليل أحمد، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدّة، د ط، 1984م.

12. قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، مازن الوعر، دار طلاس، دمشق، ط: 1، 1988م.

13. قضايا اللغة العربة في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، 1995م.

14. اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط: 02، 2010م.

15. اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1985م.

16. محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د ط، 2006م.

17. المعجم العربي، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986م.

18. من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، د ط، 1987م.

19. المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، ط: 01، 1427هـ 2006م.

20. نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة احمد المتوكل، عبد الفتاح الحموز، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، طك 01، 1433هـ ـ 2012م.

21. نحو نظريّة لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، مازن الوعر، دار طلاس، دمشق، د ط، 1987م.

22. نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، يحيى بعيطيش، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، 2006م.

23. النحو الوظيفي، (السنة الثالثة) صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1974م.

24. الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط: 01، 1405هـ ـ 1985م.

25. الوظيفة بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، ط: 01، 1424هـ ـ 2003م.

فهرس الموضوعات